فاروق الأول

بقلم

طاهر احمد الطناحي

عنيت بنشره

دار الهلال بمصر

سنة ١٩٣٦

obeikandl.com

obeikandl.com

الشعار الملكي (المونجرام) لجلالة الملك فاروق الاول

obeikandi.com

إلى المليك الشاب

نرفع هذا الكتاب

المؤلف - دار الهلال

obeikandi.com

obeikandl.com

حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول ملك مصر

obeikandl.com

فاروق الأول

سطور من صفحات حياته السعيدة

* ولد حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول مساء الاربعاء ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٣٨ هـ الموافق ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ م

* صدر أمر كريم باستحقاقه ولاية العهد في ١٣ ابريل سنة ١٩٢٢ م

* نشأ جلالته نشأة علمية ديموقراطيـة ، واعتزت به الثقافتان الدينية والمدنية

* حذق جلالته ـ الى علومه الكثيرة ـ القرآن الكريم

* ظهر في حفلة رسمية ـ أول مرة ـ في ٧ ابريل سنة ١٩٣٢ م فى حفلة المرشدات بالنادى الاهلى بالجزيرة

* احتفل باختياره كشافا أعظم فى ٢٦ ابريل سنة ١٩٣٣ م

* حاز لقب أمير الصعيد في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٣ م

* ناب عن جلالة والده الملك فؤاد ـ أول مرة ـ فى الحفلة الرسميـة لسلاح الطيران بمصر الجديدة فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٣٤ م

* سافر فى عناية الله الى لندن فى بعثة علمية يوم الاحد ٦ أكتوبر سنة ١٩٣٥

* نودى بجلالته ملكا على مصر مساء الثلاثاء ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٦ م

* عاد جلالته فى سلامة الله الى عرش آبائه فى ٦ مايو سنة ١٩٣٦ م

الملك الشاب

obeikandl.com

obeikandl.com

الملك الشاب
وملوك مصر الشبان

فأل سعيد أن يتولى عرش مصر فى عهدها الجديد ملك شاب ، فالشباب ربيع الحياة ، وعبقرية الوجود ، وابتسامة الأمل ، ودور البناء والعمل

ومصر فى هذا العهد أحوج ما تكون الى همة الشباب ، وعزيمته القوية ، وارادته الفتية ، وجهاده الدائم ، و إيمانه بالنجاح

والشباب ما زال مقروناً بحياة وادى النيل ، فى حضارته ، وفى خصب تربته وفى تاريخ ملكه : فالحضارة المصرية القديمة حضارة شابة ، تتمثل فيها معانى الشباب كاملة ، وتتجلى فيها بهجته ونضارته ، وسحره وغضارته

وخصب التربة المصرية يحكى ما فى الشبيبة من خصب القوة ، وجمال الفتوة ، وفيض الحياة . .

وطبيعة الأمة المصرية طبيعة شابة فى جميع أطوارها ، تنزع الى الطموح والحرية ، وتهيم دائماً بالقوة والعظمة والخلود . ولولا هذه الطبيعة ما شادت تلك الحضارة ، ولا تحدت الأجيال بآثارها ، وفرضت بقاءها على الزمن ، ووصلت الحياة الأولى بالحياة الأخرى، وربطت بينهما برباط قوى، وحد الغاية من الحياتين، وساوى بين البقاء بالجسم والبقاء بالروح ، كأن لا موت ولا فناء ، لأن الغاية التى ترمى اليها طبيعة هذه الأمة الشابة هى البقاء والخلود

والشباب لا يذكر الموت لأنه لا يحس بضعف الشيخوخة ، فهو عامل مجد ، وثاب الى العلى ، دءوب فى طلب المثل الأعلى . وعلى النقيض من ذلك الشيخوخة فهى قانعة راضية ، تهون عليها الحياة . ولا تجد فى طبيعتها ما ينزع بها الى مغالبة الخطوب ، وصراع الأيام

ولم تعرف الأمة المصرية الشيخوخة فى عصر من العصور ، وقد احتفظت منذ فجر التاريخ بحيوية الشباب ، فصمدت للشدائد ، وذللت الصعاب ، ونقلت الجبال فجعلتها أعلاما لعظمتها ، ونقشت تاريخها على الصخور ، ونحتت فى الأعماق عجائب نبوغها وعظمتها فى الفنون والعلوم وسعة النفوذ وقوة السلطان

وقد عرفت الثورة على كل حكم أجنبى ، فثارت على الهكسوس والفرس واليونان والرومان وسائر الذين حكموها فى مختلف العصور ، وبقيت فيها هذه الوراثة الاجتماعية على مدى الأزمان ، فلم تخضع للاجانب إلا مغلوبة على أمرها ، كما يخضع الأسد السجين ، لا يزال به نزوعه الى الحرية حتى يثور فى وجه ساجنه ، فيحطم أغلاله ويستعيد ما له من كرامة واستقلال

واذا كانت هذه طبيعة الأمة المصرية ونفسيتها منذ القدم ، فلا غرابة اذا رأينا أبرز خصلة فيها حبها لملوكها الشبان ، وتعلقها بهم ، وتأييدها لهم فى جميع العهود التى تولوا فيها الملك

فقد كانت أزهر العصور فى تاريخ مصر المستقلة ، تلك العصور التى تولى فيها العرش ملوكها الشبان

فالى هؤلاء الملوك الشبان ترجع عظمة مصر القديمة . فهم الذين شادوا مجد مصر ، ونهضوا بها ، وأقالوها من عثرتها فى عصور الانتقال . وقد عرف التاريخ ملوك مصر الشبان بالأعمال الجليلة فى كل ناحية من نواحى الحياة ، سواء أكانت

عمرانية ، أم علمية ، أم حربية ، فالملك« بيبى الثانى » أحد ملوك الأسرة السادسة، تولى الملك وعمره ست سنوات، وقبض على أزمة الحكم وهو فى نحو الثانية عشرة ، و بلغت مصر فى عهده مكانة كبيرة من الرقى والنهوض ، واستطاع أن يبرهن على ذكائه وحكمته بتوحيد كلمة البلاد ، و إزالة الفوارق التى كانت تفصل بين الامارات والقبائل ، وأقام حكومة عادلة تحكم بين الرعية بقوانين صالحة ، وأكمل العصر الذهبى فى الدولة القديمة ، الذى تولى فيه خوفو بانى الهرم الأكبر ، وخفرع بانى الهرم الثانى ، وغيرهما من الملوك الشبان

ولقد أدرك الفراعنة ما لسن الشباب من أثر عظيم فى بناء الملك ، وحياة الدولة ، فكانوا يشركون أبناءهم الشبان فى الملك ، و ينزلون لهم عن العرش وقت الشيخوخة . وقد استمرت هذه الحال فى الأسرة الثانية عشرة كلها ، فملوكها تولوا الملك ــ كمليكنا المحبوب فاروق ــ فى سن الشباب . وهؤلاء الملوك هم الذين ثبتوا دعائم الاستقلال فى الدولة الوسطى ، وكان الشعب يحبهم

قال البطل « سنوهى » فى قصته عن الملك الشاب سنوسرت الأول :
« إن فرعون باسل يعمل بسيفه عمل الشجاع ، ينقض على البربر بقلب ثابت . هو أسد يضرب بمخالبه . إنه لم يسلم قط سلاحه إلى عدوه. إنه محبوب استطاع أن يكسب قلوب الرعية . بلاده تحبه ، وتؤثره على نفسها، وتسر به أكثر من سرورها بآلهتها . لقد حكم الملك منذ كان صبياً . إنه كائن وحيد ، وروح إلهى تبتهج الأرض بحكمه »

وكان سنوسرت الأول لا تزيد سنه على السادسة عشرة حين تولى العرش . ولما نزل له والده امنمحيت الأول عن الملك ، قال له :

« اسمع يا بنى إذ صرت حاكما على الأقاليم الثلاثة (الوجه القبلى ، والوجه البحرى ، وبلاد النوبة). إنه ينبغي لك أن تقتدى بأحسن ما كان اسلافك يأتونه ،

فتحافظ على العدل بين رعيتك ، حتى لا تنفر منك قلوبهم ، ولا تسكن فى معزل عنهم ، ولا تعجب بنفسك ، ولا تقتصر فى المصاحبة على الغنى والمشهور ، دون الفقير والخامل ، ولا تبادر إلى تقريب الوافد ، فانك لم تسبر غوره »

وقد أشرك سنوسرت الاول ابنه امنمحيت الثاني في الملك حين بلغ الشيخوخة ، وكان امنمحيت فى عنفوان الشباب ، ثم ما لبث ان اضطلع بأعباء الملك وحده ، فكان موفقاً فى ادارة البلاد ، وامتاز عهده بانه عهد سكينة واصلاح واستقرار

وتعتبر الاسرة الثامنة عشرة فى تاريخ مصر القديم أقوى أسر الفراعنة ، وأبعدها نفوذاً وسلطاناً . والسر فى عظمتها شباب ملوكها . فقد كان احمس مؤسس هذه الاسرة شاباً ، وهو الذى حرر مصر من نير العبودية ، وحارب الهكسوس واقتفى أثرهم حتى أخرجهم من البلاد ، وفتح فلسطين والشام ، وأعاد لمصر هيبتها

وكان تحتمس الثالث ـ أو نابليون مصر القديمة ـ أعظم ملك شاب فى التاريخ القديم . وقد تولى الملك وعمره لا يزيد على عشرين عاماً . واتسعت مصر فى عهده حتى أصبحت امبراطورية عظيمة تمتد من بحر الروم شمالا الى جنوبى بلاد النوبة جنوباً ، ومن برقة غرباً إلى تخوم الفرس شرقا ، وألقت جيوشه البرية والبحرية الرعب فى قلوب الملوك الآخرين

وأشرك تحتمس الثالث فى الحكم ابنه امنحتب الثانى ، وهو ما زال صبياً ، ثم خلفه تحتمس الرابع فى سن باكرة . وجاء بعده امنحتب الثالث وكان من اعظم مشيدى المبانى ، وهو مؤسس معبد لوقصر ، ومن كبار الفاتحين المصريين . ثم تولى العرش ابنه امنحتب الرابع ، وهو فى « العاشرة من عمره » وعرف بالملك « اخناتون » وقد أحدث هذا الشاب أعظم انقلاب فى تاريخ مصر القديم ، وكان أول من استغرقه النظر الفلسفى ، وأول من فكر فى عبادة التوحيد ، ودعا الى

الاخاء والسلام ، وهي الدعوة التي ينادي بها الآن دعاة السلام في العصر الحديث

وقد بلغ الفن المصرى أعظم درجة من التقدم فى عهد الملك الشاب توت عنخ آمون ، وكان عمره حين تولى العرش تسع سنوات

وكان رعمسيس الثانى ـ أو رعمسيس الأكبر ـ حين أشركه والده سيتى الأول فى الملك لا يتجاوز العاشرة ، فاضطلع بمهام الملك أحسن اضطلاع . وقد جاء فى أثر نقش فى السنة الثالثة من حكمه :

« إنك أيها الملك لما كنت طفلا صغيراً ، وكان لك جدائل مسبلة ، لم يكن أثر يعمل من دون رسمك ، ولا شيء يمضى من غير أمرك . ولما صرت غلاما ، وبلغت سنك عشر سنين كانت كل العمائر فى يدك . وكنت أنت الواضع أسسها »

وقد استطاع رعمسيس أن يحافظ على امبراطورية جده ، ويستعيد أملاكها ويوطد دعائمها بما أوتى من عزيمة شابة ، وقوة فتية

* * *

تلك همة الشباب في طائفة من ملوك مصر الشبان ، الذين يرجع اليهم مجد مصر ، وفخر الفراعنة . ولا غرو فالشباب هو المثل الأعلى لقوة الجسم ، وحيوية الطباع ، وهو عهد الأمل والطموح ، وقد كان الفراعنة يقدسون القوة ، فمثلوا جميع آلهتهم شبانا ، ورمزوا بذلك الى ما فيها من كمال وجمال وحياة . فالاله « رع » مثلوه شابا . وأوزيريس وأزيس الها الجمال مثلوهما شابين . بل رمزوا إلى الشباب باله سموه « خنسو » وكذلك سائر الآلهة التى عبدوها ، والرموز التى قدسوها لم تكن إلا شابة تمتلىء بالقوة ، وتفيض بالحياة والجمال

ونصيب الشبان من جلال الملك فى غير الفراعنة نصيب عظيم سجله التاريخ فى كثير من الأمم والعصور . فالاسكندر تولى الملك وهو فى العشرين من عمره ،

وقيل فى السابعة عشرة . أى فى السن التى تولى فيها « فاروق الأول » عرش مصر . وما كاد يصل الى الثلاثين حتى أقام امبراطورية واسعة تمتد من أقاصى اليونان الى أطراف الهند

وقد تولى يوليوس قيصر الملك وهو حديث السن . وكان من أعظم الملوك سياسة وذكاء وشجاعة وإقداما

وكان نابليون بونابرت شابا حين سطع نجمه فى سماء التاريخ ، فبهر العالم بنبوغه وعبقريته

إن للشباب همته وعظمته ، وهو فأل النجاح حين يتولى شئون الحياة وأريكة الملك . ومن أجل ذلك كان رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام يختار لقيادة جيوشه أمهر الشبان وأنبغهم ، ويقدمهم على كثير من الكهول والشيوخ . وقد أعز الله الاسلام بشباب الاسلام

قال بعض القدماء : « الشباب باكورة الحياة ، وأطيب العيش أوائله ، كما أن أطيب الثمار بواكيرها »

وقال تعالى عن يحيى بن زكريا : « **وآتيناه الحكم صبيا** »

وقد أوتى الفاروق العلم والحكم صبيا ، وأراد الله أن يتولى عرش الكنانة فى سن باكرة كهؤلاء الملوك العبقريين ، فانه عبقرى ، والعبقرية لا تتقيد بعدد السنين ، فهى منحة القدر ، ونفحة من روح الله ، وهى فى عنفوان الشباب آية الكفاية التى لا تعوزها خبرة الأيام ، وتجارب الأعوام ، لأنها خصبة قوية وافرة الثروة من سداد الرأى ، وكمال التدبير

النبوغ البكر
وراثى فى الملك عن أجداده

يتفق نبوغ جلالة الملك الشاب وتقدم الجيل الحديث من الامة المصرية فى أن كليهما باكر ، وأنه وراثى عن الآباء والاجداد

ففى سنوات لا تزيد عن ست عشرة سنة نبغ جلالة الفاروق نبوغاً أدهش جميع مربيه ، وأقنعهم أنه نبوغ نادر ، لا يتاح الا للعبقريين وعظماء الشعوب

ومنذ قامت الحركة الوطنية الاخيرة الى الآن ، أى فى خلال ثمانى عشرة سنة ، تقدمت الامة المصرية تقدماً باكراً لايتاح لغيرها فى عشرات السنين ، وقد تجلى هذا التقدم فى كل ناحية من نواحيها العلمية ، والاقتصادية ، والسياسية

ونبوغ الامة المصرية خاصة وراثية ــ كما قلنا ــ منذ أقدم العصور . وكل ما فيها من بيئة صالحة تساعد على هذا النبوغ . والجرثومة الوراثية فى المجتمع المصرى هى نفسها منذ كانت فى العهد القديم الذى سجل فيه التاريخ لهذه الامة حضارة بلغت الذروة فى التقدم والنبوغ

وقد ورث جلالة الملك فاروق عن أسلافه العظام ــ زيادة على هذه البيئة ــ نبوغهم وعظمتهم فى سن الشباب ، فقد نضجت مواهبهم منذ الطفولة ، و بدأت عبقريتهم منذ الصبا . فمحمد على ، وابراهيم ، واسماعيل ، وفؤاد ، كانوا فى مقتبل حياتهم من أعظم الفتيان النابغين . نعم تولى محمد على باشا حكم مصر فى السادسة

والثلاثين من عمره ، ولـكن كيف يتاح له هذا المجد فى هذه السن ، وهو عصامي يتيم مات والداه فى الرابعة من عمره ، ما لم يكن ناضجا منذ الصبا ، فاستطاع أن يسبق الأقران ، ويقتحم العقبات فى وقت قصير ، ويتبوأ أريكة الحكم وهو فى إبان الفتوة ، وضحى الشباب

لقد كان محمد على باشا ناضجا فى صباه وشبابه ، فبرع فى الفروسية ، وكانت فيه فطنة فذة ، وخصال بارزة ، فأحبه جميع من اتصلوا به ، ورقي فى سلك الجندية رقياً ممتازاً لم يحظ به غيره من الأقران

وكان ابراهيم باشا ناضجاً ، ولا نعنى نضجه فى كهولته الذى أدهش به العالم ، بل نعنى هذا النضج الباكر قبل العشرين . فقد ظهرت آيات نبوغه منذ الصبا ، فأوفدته الأمة المصرية نائباً عنها ، وهو فى السابعة عشرة من عمره مع عمارة حسين قبطان باشا ، التى أتت من الآستانة لاخراج محمد على من مصر ، ليقدم رغبة مصر الى السلطان فى بقاء محمد على والياً على هذه البلاد . فأدى مهمته على أحسن وجه ، وعاد الفتى ظافراً بتحقيق هذه الرغبة

وفى الثامنة عشرة تولى ابراهيم باشا منصب الدفتر دار . وهذا المنصب يعادل الآن منصب وزير المالية

وقد توسم محمد على باشا فى ابنه هذا النبوغ الباكر ، فولاه حكم الصعيد قبل أن يبلغ العشرين . وتجلى نبوغ ابراهيم الحربي ــ أول مرة ــ وهو فى الثانية والعشرين من عمره ، إذ قاد الحملة المصرية لاخضاع الوهابيين ، وانتصر عليهم

وكان رحمه الله منـذ الشباب يعمل لاحياء القومية العربية ، وهو أول من نادى باعطاء العرب حقهم ، وكان يعد نفسه عربياً مصريا ، وقد قال للبارون لبوالـكونت فى حديث معه : « أنا لست تركياً ، فانى جئت مصر صبياً ، ومنذ

ذلك الحين قد مصرتني شمسها ، وغيرت من دمى وجعلته دماً مصريا »

أما اسماعيل باشا ، فقد كان ناضجاً فى صباه ، كما كان ناضجاً فى كهولته . فعين عضواً فى مجلس الأحكام بالآستانة ، وانعم عليه بالباشوية ، وهو لم يتجاوز العشرين

ولما عاد إلى مصر فى بدء عهد سعيد باشا ، ولاه رئاسة مجلس الاحكام وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ، وأوفده فى السنة الخامسة والعشرين من عمره إلى فرنسا للسعي لدى نابليون الثالث كى يساعده لدى الدول فى توسيع استقلال مصر

وقد تولى الخديو اسماعيل فى عنفوان الشباب قيادة ١٤ الف جندى ، وعهد اليه فى إخماد ثورة القبائل بالسودان ، ثم عينه سعيد باشا سردارا للجيش المصرى ، واقامه نائباً عنه مرتين فى حكم البلاد ، وكان وقتئذ فى مقتبل الحياة

ونشأ جلالة الملك فؤاد نابغة منذ الصبا ، فأظهر فى كل ما عالجه فى سن الشباب مقدرة فائقة ، وكفاية تليق بحفيد ابراهيم العظيم . ففى ايطاليا ، وفى الآستانة ، وفى مصر كان مثال النبوغ والنضج . وقد وجه هذا النبوغ إلى تشجيع العلوم ، فاضطلع بعدة أعمال كبيرة فى نهضة الأمة لم يضطلع بها غيره من الفتيان

ولا ريب أن النبوغ الطبيعى ينتقل من الآباء إلى الأبناء ، فكما أن جده نابغة ، ووالده نابغة ، كان هو كذلك مثلا عظيما للنبوغ والنضج الباكر الذى انتقل إلى نجله الملك الشاب ، فكان أبرز صفاته ، وأجمل ميزاته

فالوراثة الفطرية ، وهذه البيئة الممتازة التى نشأ فيها جلالته فى ظلال رعاية والده الذى كان همه أن يرى ولى عهده أعظم مثال لسعة الثقافة ، ورجاحة العقل ، وكمال التربية ، ثم هذا البلد الطيب ، وما فيه من خير عميم وسر عظيم فى ظهور النابغين وعظماء الأمة ـ كل ذلك كفيل بأن يجمع للفاروق من جلائل الخصال ما هو أهل له ، ومن كفاية الملكات ما يليق بقدره ومكانته

الديمقراطية
طبيعة في محمد علي وخلفائه

لم تعرف مصر الديمقراطية قبل محمد على باشا الكبير ، فقد كان حكمها فى عهد الاستقلال حكما أوتوقراطياً . وفى عهد الفتح والتبعية كانت خاضعة لهذا الحكم وتقاليده . فكان الملك ابن الاله فى عهد الفراعنة ، والحاكم بأمر الله فى العهود الأخرى ، فلا ارادة للشعب ، ولا سلطة له

وقد ظهرت الديمقراطية فى العصر الحديث ، فكان أول من اعتنقها فى الشرق محمد على باشا ، وكان حكمه قائما على ارادة الشعب وتأييده . ولعله أول حاكم فى مصر تولى حكمها باختيار الامة له على نحو ما تختار الشعوب الديمقراطية حكامها من زعمائها البارزين

فقد امتاز محمد على بطبيعته الديمقراطية ، فكان يتقرب من الشعب ، ويعنى بشئونه منذ كان قائداً للجنود الالبانيين فى مصر . فلما قامت الثورة الاهلية على والى مصر « خورشيد باشا » اتجهت انظار زعماء الشعب اليه وحده ووجدوا فيه المنقذ الكفء ، فخاطبوه فى اختياره والياً على البلاد

وأنت حين ترجع الى هذه الحادثة التاريخية التى كانت سبباً فى الانقلاب المصرى الاخير ، ترى كيف أسس محمد على باشا حكمه على أحدث الاصول الديمقراطية ، فقد نادت الامة المصرية باختياره والياً عليها ، وأعلنت رغبتها فى حكمه ، واستجاب زعماؤها لهذا النداء ، واقتنعوا بصوابه ، فذهبوا ينادون

بصوت واحد : « لا نقبل خورشيد واليا علينا » ، فأطل عليهم محمد على باشا من قصره ، وقال : « ومن تريدون اذن ؟ »

فقالوا : « لا نريد سواك »

فاعتذر لهم ، فأصر الشعب على اختياره ، وألح عليه في القبول ، فأذعن أخيراً لاصراره ، وأحضر الزعماء « الكرك والقفطان » وألبسوه إياهما ، واضطر الباب العالى أن يخضع لأرادة الشعب و يعترف بولايته

فهذه الحادثة تكشف للمؤرخ عن حكم محمد على القائم على ارادة شعبه ورغبته . فلم يكن حاكما مطلقا ، ولا مغتصبا لحقوق الرعية ، بل كان يوقن أن ثبات حكمه بثبات هذا التأييد

ولذلك كان أول من اشترع فى مصر الحكم الديمقراطي ، وأقام فيها أول مجلس نيابى هو النواة الاولى للحكم البرلمانى الذى تنعم به البلاد الآن ، ففى سنة ١٨٢٩ ألف « مجلس المشورة » من ١٥٦ عضواً من علماء القطر وأعيانه وكبار موظفيه ، وأسند رئاسته للبطل الخالد ابراهيم باشا ، وهذا المجلس أصدق فى الحياة النيابية من «الديوان» الذى ألفه نابليون بونابرت فى مصر من أعيان القاهرة فقط

هذا مجمل ديمقراطية محمد على باشا فى الحكم ، أما ديمقراطيته الذاتية ، فقد كان ذا طبيعة ديمقراطية خالصة ، حببته إلى الشعب ، وكان لباسه ديمقراطيا لا أبهة فيه ولا تكلف ، وكان يكره المباهاة والتظاهر بالعظمة وكثرة الحاشية ، فلم يكن على بابه إلا رجل واحد يحرسه . و إن كان هناك شيء يفخر به ، فهو عصاميته التى كان يحب التحدث بها ، كأنما أراد أن يضرب لغيره الأمثال بهذه العصامية النادرة

* * *

اما ابراهيم باشا ، فكان كأبيه ديمقراطيا بسليقته ، وهو أول رئيس لمجلس نيابى فى مصر ، وكان فى حياته العسكرية ديمقراطيا ، فمع صرامة النظام العسكرى وتطبيقه على نفسه هو ، كما يطبقه على جنوده ، لم يأنف من مجالسة الجنود والضباط ، ومقاسمتهم السراء والضراء ، وكان رحمه الله يتعشق البساطة فى مأكله وملبسه ، ويقطع المراحل الشاسعة سيراً على قدميه لجنوده ، وكان يمقت تكلف العظمة ، وينفر من الابهة التى اصطنعها غيره من الامراء وأحاطوا بها أنفسهم ، وكان أعظم آماله أن ينشر الديمقراطية فى الشرق باحياء القومية العربية

ولهذه الديمقراطية أحبه أعوانه وجنوده وأهالى البلاد ، فتفانوا فى خدمته واستعان بهم فى فتوحاته الكبرى

* * *

وكان الخديو اسماعيل كأبيه وجده ديمقراطيا فى حياته الخصوصية وحياته الادارية . وقد وطد فى مصر دعائم الديمقراطية فى الحكم ، وتوسع فيها تبعا للعصر الذى ظهر فيه . فلم يقتصر على انشاء مجلس نيابى يضم علية المصريين ، بل انشأ فى مراكز المديريات جماعات نيابية كان الغرض منها أن يدرب الشعب على الحكم النيابى باشراك أهالى القطر مع رؤسائهم الاداريين فى الحكم . فكان في كل مركز مجلس ادارى ، وفى كل مديرية مجلس محلى ، وعين المديرين من المصريين ونزل عن جانب من حقوقه للشعب وقرر لنفسه راتبا ، وظفرت مصر فى عهده بحكم ديمقراطى صحيح ، دون أن تراق قطرة دم كما حدث في الأمم الأخرى

وكان اسماعيل باشا يكره التقيد بالرسميات ، واذا قابل أحداً ممن يتشرفون بالمثول بين يديه حمله ببراعته وروحه الديمقراطية على الاطمئنان اليه ونسيان خوفه . وهو لا يميل إلى الابهة ومظاهر العظمة إلاحيث تقتضيه تقاليد الامارة ، فكان فى وقت فراغه يخرج للنزهة بلباس عادي ، وصفه بعض أبناء عصره بأنه

استامبولية بسيطة وطربوش أحمر ، ولا يستصحب غير بضعة رجال من حاشيته

* * *

ومن المعروف أن جلالة الملك فؤاد الأول كان ديمقراطيا فى حياته وفى حكمه فهذه آثاره تشهد بما كان عليه رحمه الله من حب لرعيته ومشاركة لها فى السراء والضراء . وهذا البرلمان القائم أثر من مفاخره . وقد ختم حياته بتوطيد الحكم الديمقراطى فى مصر . ونحن نترك وصف هذه الديمقراطية للماجور بولس نيومان فقد قال فى كتابه « بريطانيا فى مصر » :

« جلالة الملك فؤاد ملك واسع الثقافة ، واسع الاطلاع ، ولوع بتشجيع العلوم والفنون والألعاب الرياضية ، وهو مع هذا ملك بلاد عريقة فى التقدم والحضارة

« وجلالته أحسن مثال للملك البار برعيته العامل لمصلحة بلاده . ومعظم خدماته لشعبه انما هى فى سبيل البر به ، ورفعة مستواه ، ففازت مصر فى عهده بنعم سابغة

« وقد صارت القاهرة بفضل عنايته من عواصم البلاد الكبرى ، وأصبحت من خيرة البلدان التى تقام فيها المؤتمرات الدولية . وهو شديد الاتصال بشعبه يحضر حفلاته العلمية والرياضية ويوزع الجوائز بيده

« وروحه الديمقراطية فى مقابلة الماثلين لديه تغمرهم بعطفه وتشعرهم بالاطمئنان اليه ، وتزيل من نفوسهم التصنع الذى يمقته جلالته . وحديثه صريح خال من الكلفة والغموض

« أما معارفه فتشمل العالم كله ، والدرجات الكثيرة التى حازها من الجامعات المختلفة انما حازها باستحقاق ، لا لكونه ملكا ، بل لعلمه وسعة ثقافته وفضله . وقد سار جلالته فى الاصلاح ورائده خدمة بلاده ورخاء شعبه ، وسياسته فى هذا الاصلاح سياسة حكيمة فى جميع فروعها

« وجلالة الملك فؤاد جدير باعجاب الاجانب بما نشأ عليه من روح ديمقراطية ، وبما غذى نفسه من العلوم والمعارف الواسعة

« ولقد كنت كلما تتبعت أعماله التى ينهض بها جلالته فى سبيل رفاهية شعبه ، مع كثرة الدسائس السياسية والاحتلال الاجنبى ، ازددت إعجابا بشجاعته و بعقله الكبير و بتفاؤله الدائم . وقد قابلت جلالته وحادثته مراراً ، فلم أره يوماً ما ، حتى في أشد الازمات السياسية ، محرجا ضعيف الرجاء ، بل لقد كان يقول : إن المثابرة مع الصبر والتأنى ، والايمان والثقة برعاية الله ، تؤدى حتما الى الفوز »

تلك فقرات مما تحدث به الماجور نيومان عن ديمقراطية الملك الراحل وحبه لشعبه وخدماته له . وقد قال جلالته مرة لأحد الفرنسيين، وهو فى زيارته لاوربا:

« أما أن تكون ملكا فليس بشىء ، وأما أن تكون نافعا فذلك كل شىء »

وهى كلمة لا يقولها الا ملك ديمقراطى يحب شعبه ويستجيب لندائه ، و يعمل لسعادته . ولعل أبلغ مثل على هذه الديمقراطية تلك العبارات النفيسة التي قالها جلالته رحمه الله لاعضاء الجبهة الوطنية ، حين تشرفوا بمقابلته فى ٢٢ يناير سنة ١٩٣٦ فقد دعاهم الى الجلوس قائلا :

« ليس بيننا كبير وصغير ، فلنجلس جميعا بغير مراعاة للرسميات . وهأنذا كواحد منكم . وانى لأشعر فى هذه اللحظة ، ونحن جميعا مصريون ندين بالاخلاص والمحبة لبلادنا ، أننا أفراد أسرة واحدة نشعر جميعا بشعور واحد » . !

هذه هى ديموقراطية أسلاف الملك الشاب «فاروق الأول» ، وهذه هى الطبيعة التى نشأوا عليها ، وكانت ديدنا لهم فى حياتهم ، وطابعا لهم فى أعمالهم ، فليس غريبا أن نرى جلالته أحسن مثل لهذه الديمقراطية الحقة ، وهذا الطبع القويم

والى مصر العظيم محمد على باشا الكبير

(عن لوحة بقصر عابدين) .

البطل الفاتح ابراهيم باشا الجد الثاني لجلالة الملك فاروق

(عن لوحة بقصر عابدين)

الخديو اسماعيل باشا الجد الاول لجلالة الملك فاروق

(عن لوحة بدار الكتب المصرية)

حضرة صاحب الجلالة الملك الوالد فؤاد الاول

obeikandl.com

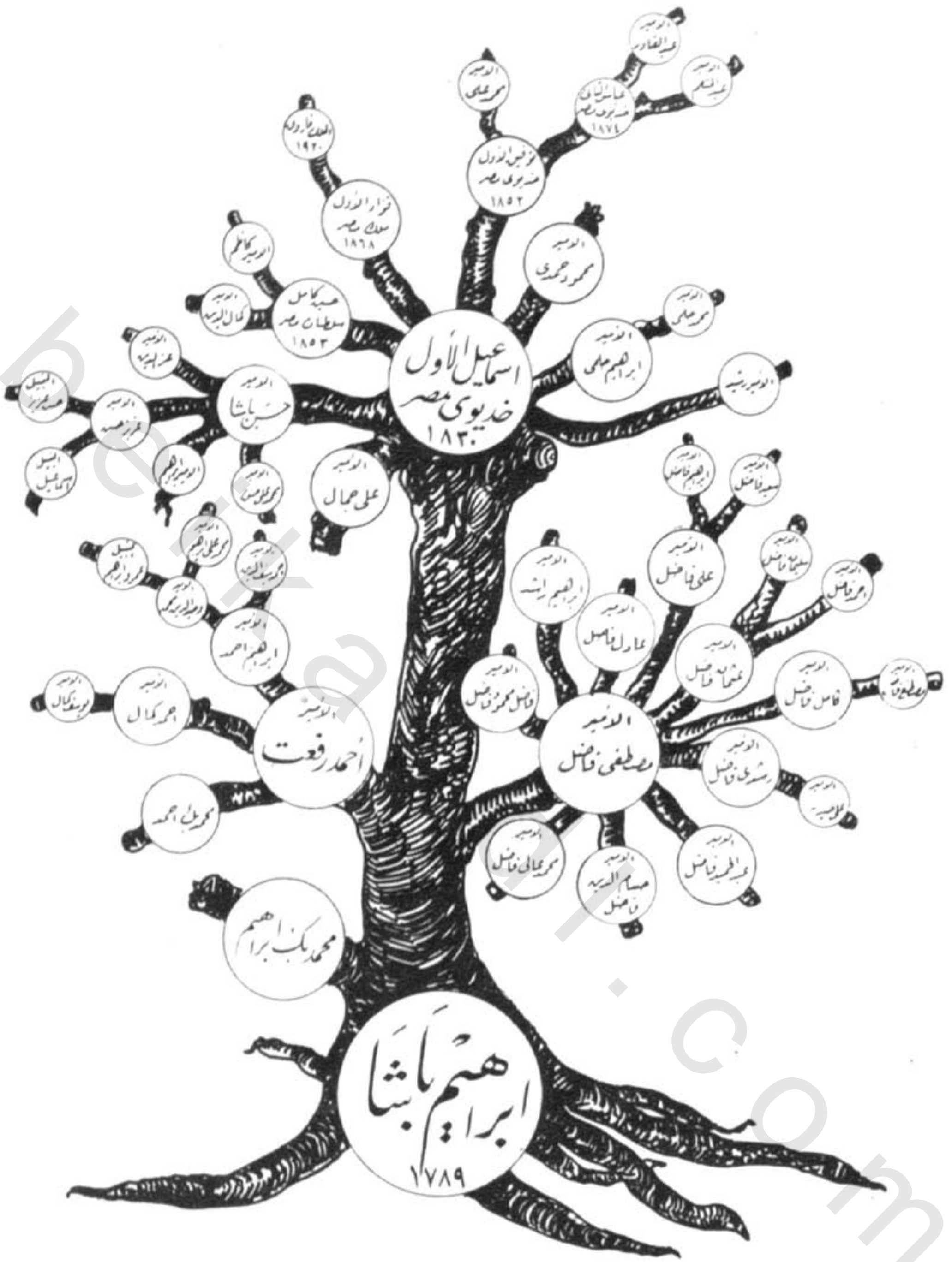

شجرة ذرية البطل الفاتح ابراهيم باشا جد جلالة الملك

obeikandl.com

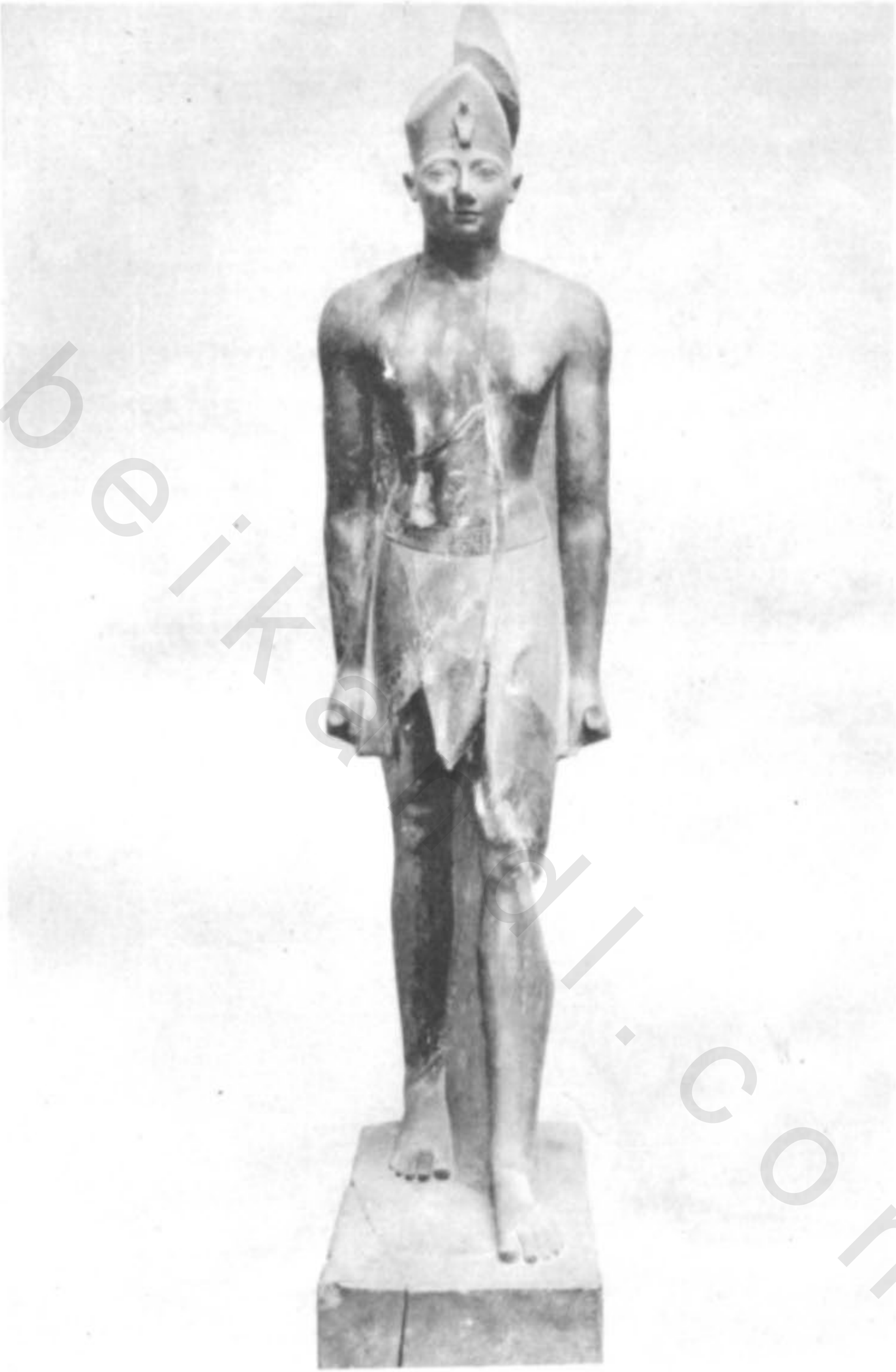

الملك الشاب تحتمس الثالث . تولى الملك فى الثانية
والعشرين من عمره . وكان اعظم ملوك مصر القديمة

رعمسيس الثانى – أو رعمسيس الاكبر – من أعاظم ملوك
مصر الشبان . وقد تولى الملك فى العاشرة من عمره

obeikandl.com

تمثال رمزى للنيل وفروعه ، منقول عن أصل موجود بالفاتيكان بروما . وقد
أهداه قداسة البابا الى جلالة ملك مصر ، وهو بالمتحف الزراعى الملكى بالقاهرة

الملك الديمقراطي

بزوغ نجمه

obeikandl.com

obeikandl.com

الملك الديمقراطي

الابن سر أبيه . . فنوابض الحياة تنتقل من الوالد الى الابن بالوراثة ، لانها فطرية تحركها قوة الله . فاذا كان الوالد ديمقراطياً نشأ ابنه على مثاله ، واذا كان الاجداد ديمقراطيين كانت الديمقراطية خصلة وراثية فى الذرية ، تظهر فيهم دون أن يكون للدوافع الخارجية أى تأثير

ومن العسير ، إن لم يكن من المستحيل ، أن تجد مستبداً أو دكتاتوراً ينشأ أبناؤه ديمقراطيين أو مناصرين للديمقراطية ، إلا أن يكون هناك مطمع يسعون اليه ، أو غاية ذاتية يبغون الحصول عليها ، لأن طبيعة الوراثة هي المحافظة على صفات النوع فى الأفراد . ومهما تكلف الانسان ضد ميراثه من الصفات عاد طبعه فانجذب الى أصله ، وارتد الى مكانه من الفطرة ، على الرغم من عوامل البيئة وتأثير الوسط

ولـكن اذا كان هذا الطبع يتسق مع البيئة فى الخلقة، ويتحد معها فى الوجهة ، فأجدر به أن يبلغ الغاية من الـكمال والجمال ، على نحو ما فى أسرة محمد علي

فالبيئة المصرية بيئة ديمقراطية تتسق مع طبيعة محمد علي وخلفائه ، لأن الأمة المصرية أميل ما تكون الى البساطة والمبادىء الحرة والحـكم الديمقراطى ، والبلاد المصرية بطبيعة أرضها وجوها وسائر نواحيها الفطرية والاجتماعية ، من البلاد التى تعيش فيها الديمقراطية ، وتنمو وتنجح اكثر مما تنجح فيها الأوتوقراطية

ولذلك كانت ديمقراطية الملك فاروق الأول رائد النجاح ، وسر الحب

الذي يدفع الشعب المصرى الى الاعجاب بمليكه ، والالتفاف حوله ، والتفانى فى حبه وتأييده

وقد رأى جلالة والده رحمه الله بثاقب نظره أن يرعى هذه الصفة الحميدة فى ولى عهده و يتعهدها بعنايته ، حتى لاتؤثر فيها مظاهر العظمة وأبهة الملك ، فأخذ فى تنميتها فى نفس الفاروق منذ كان طفلا ، حتى أمر مربيه ومربيته وطبيبه الخاص بألا ينادوا ولى العهد بقولهم : « يا أفندينا » أو « يا صاحب السمو » ولا يذكروه بلقب الامارة إلا فى غيبته . أما فى حضوره فينادونه باسم « الفاروق » مجرداً من الألقاب ، فكانوا يأتمرون بأمر جلالة الملك الوالد ، وكان الأمير يرتاح الى هـذا النداء الديمقراطى الجميل

ومما يدل على عناية الملك الراحل بتنمية هذه الخصلة فى ولى عهده ، أنه ذات مرة زار جلالته أحد أصحاب السمو الأمراء ، فأقبل عليهما الفاروق ، وكان وقتئذ فى السادسة من عمره ، فسأله الأمير ـ مداعباً ـ عن اسمه فأجاب :

— اسمى البرنس فاروق . .

فقال له جلالة الملك فؤاد :

— ماذا ؟ . .

فاستدرك الأمير الناشىء قائلا :

— فاروق . . فاروق . .

فهذه الحادثة البسيطة تدل على تلك البيئة الديمقراطية التى أحاطه بها جلالة والده العظيم أيام نشأته الأولى ، فأثمرت ثمراً يانعاً ، تجلى الآن فى حياة الملك الشاب بأجمل مظهر ، وأحسن أسلوب

وذات يوم خرج جلالته ـ وهو ولى للعهد ـ على جواده للنزهة فى احدى

المزارع التابعة لقصر القبة بالقاهرة ، فمر بطائفة من الصبيان يلعبون فى مرح وابتهاج ـ وكان وقتئذ فى العاشرة ـ فأراد مرافق الأمير أن يفسح الطريق لسموه ، فزجر الصبيان وفرقهم ، فأنكر ذلك على مرافقه ، ونهاه عن إتيانه مرة أخرى ، وقال له :

« إنهم صبيان مثلى . واذا كنت أنا لا أحب أن يقطع علي أحد أوقات تسليتى وألعابى ، فانى كذلك لا أحب أن تقطع ألعاب هؤلاء الصبيان . أما الطريق ففيه متسع للجميع » !

ومن مظاهر الديمقراطية فى جلالته احترام الغير ، والعطف على الفقير ، ومواساة كل من يقابله ، فاذا قابل مربياً له ، أو شخصاً من حاشيته ، سأله عن حاله وصحته ، قائلا :

— كيف حالك . لعلك بخير ؟

فيجيبه المسئول داعياً له ، وشاكراً سامي رعايته ، وجميل عطفه

* * *

خرج يوما وهو أمير الى المزرعة التابعة للقصر ، فرأى فقيراً من الفلاحين جالساً على ساقية ، وقد لبس ثيابا بالية ، فسأله الأمير عن حاله ، فحمد الله وشكر عطفه ، لكن الأمير تأثر من مظهر الرجل وأبى إلا أن يدخل على نفسه السرور ، فأخرج ما كان معه من نقود وأعطاه إياه

فرفع الرجل يديه الى السماء ، ولهج بالدعاء له ، ثم قال :

— الحمد لله . . آدي احنا لقينا تمن العيش . ربنا يرزقنا بالغموس

فادرك الأمير أن الرجل قد داخله الطمع ، فالتفت اليه مبتسما وقال له :

— العيش فقط ! لا يا صاحبي . . بل انت تاكل بهم بقلاوة . . !

وفى كلمة « يا صاحبي » ما يكشف لك عن ديمقراطيته الحقة التى لا كلفة فيها ولا تصنع ، وهذه الديمقراطية الحقة ديدنه فى جميع أعماله

* * *

ويروى عن جلالته فى معرض الديمقراطية وتشبعه بروحها ، أنه لما زارت جلالة ملكة البلجيك مصر مع المغفور له زوجها الملك البرت ، استضافتها صاحبة الجلالة ملكة مصر فى قصر القبة ، و بعد تناول الشاى خرجت الملكتان ومعهما سمو « الأمير » فاروق وصاحبات السمو شقيقاته للنزهة فى أنحاء الحديقة ، وفى هذه النزهة دعا «الأمير» جلالة ملكة البلجيك الى ركوب زورقه الصغير ، ليأخذ لجلالتها صورة فوتوغرافية تذكارا لزيارتها ، فأجابت الملكة رغبته

و بعد خطوات من مكان الزورق سار الجميع بين الأغصان الوارفة والأزهار الباسمة فانتقى « الأمير » أجمل وردة وقدمها الى جلالة ملكة البلجيك هدية لا تكلف فيها ولا رسميات ، فاعجبت الملكة بعذوبة أخلاقه ، وأثنت على لطفه

ومما تتجلى فيه ديمقراطية الفاروق بساطة ملبسه ، فهو لا يعنى بالزخرفة والتصنع ، بل يكفيه أن تكون أنيقة صحية منسجمة ، وكذلك فى طعامه ورياضته . وهو يميل دائما الى البساطة وعدم التقيد بالرسميات ، إلا حيث تضطره التقاليد

* * *

وللديمقراطية جمالها فى الحياة ، ولا ريب أن هـذا الجمال لا يكون فى أروع مظهره إلا اذا صدر من عظيم ، وهو لا يكون فى غاية سحره إلا اذا كان من ملك جليل

فأنت لا ترجو من الرجل العادي أن يكون ديمقراطياً فى طباعه ومعاملته ، ولا تحله محل الاعجاب من نفسك ، لانه إن أراد غيرها أعوزته الوسائل ، فهو مضطر أن يعيش كما يعيش الديمقراطيون

ولكنك حين ترى عظيما فى مكانته ، أو ملكا فى سامي ذروته ، يتعشق الديمقراطية ، وتبقى ديدناً له ، ويشعر الناس بأنه يعيش كما يعيشون ، وأنه قائد منهم ، وراع لمصالحهم ، لا متسلط فوقهم ، ولا متعال عليهم ، فانك تدين له بالاعجاب ، وتهيم بتقديره وحبه

وقد امتلك الفاروق بهذه الديمقراطية قلوب رعيته ، وتبوأ منها سامي الاعجاب والحب والتقدير ، فلما تولى عرش البلاد نهج نهجاً حميداً يليق بأمته وأسرته الكريمة ، فلم يبتعد عن الشعب ، بل استن سنة أبيه وأجداده فى الاختلاط به فى المساجد والحفلات العلمية والفنية والرياضية ، ومشاركته فى الحياة الاجتماعية على نحو ما كان يفعل الخلفاء الراشدون ، وما يفعله الآن ملوك الأمم الراقية

فجلالته ديمقراطي فى خلقه ، وفى عمله ، وفى ملبسه ، وفى غذائه ، لايفترق فى ذلك عن شاب من الاسر المصرية الكريمة

أما التكلف والتظاهر بالعظمة ورؤية الرعية من شاهق ، والنظرة اليهم كأنهم عبيد ، فذلك ما تنزه عنه جلالة الملك الشاب ، فقد ورث ـ مع مجد آبائه ـ مجد أخلاقهم وتقديسهم للديمقراطية ، وحبهم للشعب واخلاصهم له

فهو ديمقراطى من ديمقراطي ، وماجد من ماجد « ذرية بعضها من بعض » .
وعلم من أبيه العلم ، ومن شابه أباه فما ظلم